إهداء

إلى كل متشوف لفجر جديد

إلى الحالمين بغد أفضل

عمار ياسر لقمس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويدافع نقمه، ويكافئ مزيده، ثم الصلاة على نبي الرحمة والإصلاح، الأمّي الذي ربى وعلم العالمين دروب الفلاح وعلى آله وأصحابه الملاح

وبعد:

سمع الكثيرون عن النظرية النسبية التي ذاع صيتها في الآفاق، وهم وإن لم يدرسوها ويفهموا قوانينها إلا أنها ترامت إلى أسماعهم

ليس هذا الكتاب شرحاً للنظرية النسبية بحد ذاتها، وإنما هو محاولة ربط بينها وبين قضايانا التي تشغلنا اليوم، هو محاولة قراءة جديدة للنظرية النسبية يخرج بها من طور القوانين الرياضية والتطبيقات العلمية ليصيغها على شكل قوانين ترتب حياتنا، وتساعد في حل مشكلاتنا

العلم التجريبي أحد أدواتنا في التعرف على الكون، وسبر أغواره، وكشف أسراره، والباحث عن الحكمة يتخذ من كل ما حوله أستاذاً ومربياً، ويستقي من كل حادثة عبرة وعظة

وقد ألِفت خيطاً شد انتباهي بين النظرية النسبية عندما طالعتها وبين أهم

القضايا التي تشغلنا كعرب ومسلمين على الصعيد الفكري والاجتماعي والشخصي، فأحببت أن أشرككم هذه التجربة وأريكم النسبية من الزاوية التي رأيتها

لم أعمد في هذا الكتاب أن أرتبه في فصول يحمل كل واحد منها عنواناً تندرج تحته عدة أبواب، لأن الكتاب مجموعة إسقاطات لقوانين النسبية أو أحد نتائجها العملية، وليس شرحاً للنظرية كما أسلفت

فهو ومضات منفصلة تبدأ ببداية كل عنوان وتنتهي بنهايته، ولئن وجدتَ رابطاً من نوع ما بين عدة عناوين ولم أجمعها تحت فصل واحد، فذلك لأنك نظرت إليها من منظار معين، وإذا ما بدلت منظارك ستجد رابطاً آخر بين بعض تلك العناوين وعناوين أخرى، وتتبدل الروابط وتتشابك كلما بدلت زاوية رؤيتك للأمور

سأورد بعد عنوان كل فقرة الجزء من النظرية الذي يشابه العنوان، وأسرد شرحاً مبسطاً له، وبعدها سيأتي إسقاط هذا الجزء من النظرية على الواقع

لم أشرع في تأليف الكتاب لأناقش كل مسألة فيه وأخوض بتفاصيلها، وإذاً لاستحال الكتاب لمجلدات ضخمة ولتُهنا في زحمة التفاصيل، والشيطان

يكمن في التفاصيل كما يقولون

وإنما أردت أن ألفت نظر القارئ للموضوعات الواردة في الكتاب وأناقشها بعمومها من غير تطرق للتفاصيل إلا عند الحاجة، فتكون بمثابة إشارات ثم يكون المجال للقارئ كي يبحث وينقب أكثر في تلك المواضيع

أحد أهم الرسائل التي يرسلها هذا الكتاب هي أهمية النظر للأمور المختلفة نظرة المتأمل المفكر الفيلسوف، الذي ينظر للأمور من زاوية مختلفة ولو نجح هذا الكتاب في إقامة جسر بين العلم وقضايا الحياة، ويغير نظرتنا التقليدية الجامدة للعلم، ويدخله ضمن دائرة حياتنا الاجتماعية فيكون بذلك قد نجح نجاحاً باهراً

ليس هناك مسلمات بشرية دائمة

أعظم ما في النظرية النسبية أنها نقضت وبكل جرأة وعلمية ودقة بعض المسلمات التي كانت تعتبر لزمن قريب من الأساسيات والبدهيات، وعدلت بعضها الآخر، وأوجدت مسلمات أخرى قد تُنقض في يوم ما أو تعدل

فلطالما ساد الاعتقاد أن الزمن مفهوم ثابت جامد، وهو يجري نحو المستقبل كسهم أطلق من قوسه لا يملك أن يعود فيه، وأن الأثير يملأ أرجاء الكون، وأن نسيج الكون ليس مرناً كما اقترح آينشتاين

كل جهد بشري قاصر كحال البشر أنفسهم وهو ابن بيئته وعصره وظرفه مهما ارتقى ومهما كان عظيماً
علم الله تعالى وحده هو الكامل الشامل غير المكتسب الذي لا يتداعى مع مرور الزمن ولا ينقضه سواه فهو الذي خلق هذا العالم وسن فيه القوانين وبث فيه أسراره

(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)

لكن الجهد البشري كما قلنا هو تفاعل الوعي البشري مع البيئة المحيطة فيه وبالتالي فهو عرضة للنقد والتقويم وربما النسف بالكامل إن أثبتت الحقائق والتجريب عكسه

وبالتالي فأي قول أو تفسير أو دعوى قالها أي إنسان في هذا العالم - غير الأنبياء لأنهم يبلغون عن الله تعالى - يجب عرضه على محكمة الدليل والبرهان فإن صمد أمكن البناء عليه والمضي بعدها على مستند قوي وأرض صلبة

فيجب أن نفرق تماماً بين النص المقدس -الآية الكريمة وما ثبت فعلاً من الأحاديث النبوية- وبين فهوم البشر لها وتفسيراتهم المختلفة

فالأول مقدس، وهو الحق المطلق كما أسلفنا، والثاني هو جهد بشري، وهو عرضة للنقاش، بل يجب أن يعرض على محكمة الدليل والبرهان، ولا يجب أن نخلط البتة بين هذين الأمرين

أين تكمن المشكلة؟؟

قد يهز القارئ رأسه ويعتبر هذا الكلام أمراً مفروغاً منه، ولكن المشكلة تكمن في قدم هذه الجهود البشرية، وطول صحبتنا لها، وشدة ألفتنا بها فأصبحت جزءاً من ثقافتنا ومن شخصيتنا وتراثنا حتى ترسخت في عقولنا الجمعيّة، فأصبحت الصلة بينها وبين النص المقدس في عقولنا وثيقة جداً وأصبحت الجسور التي تربط بينهما تستعصي على معول المسائلة والمناقشة، فأصبحت مسلمات بحكم قدمها لا بحكم قوة دليلها الذاتي

والجهد البشري لن يصل يوماً إلى الحقيقة المطلقة فهي من خصائص الله

تعالى وحده

كما أن أدوات الإنسان وعقله محدود، والوسائل التي بين يديه محدودة وعمره محدود، وبالتالي فهناك باستمرار ضرورة ملحة للتساؤل والبحث والكشف كمن يسير في نفق مظلم (وهو الكون بالنسبة لنا ونحن نجهل ما فيه) وبيده مصباح (وهو العلم)

فالسائر في النفق بحاجة أن ينير هذا المصباح ليرى طريقه (الحضارة الإنسانية)، فهو بالتالي بحاجة أن يدير هذا المصباح في سائر أنحاء النفق ليتأكد مما حوله جيداً، فهو وإن تيقن مما حوله لكنه وهو يمشي قد تستجد أمور وقد يرى أموراً ثم تبدو له على خلاف ما تصوره وهكذا إلى أن ينتهي النفق وعندها تنتهي الحياة ونردّ إلى بارئ الأرض والسماوات

وهذا ما حدث لألبرت آينشتاين مع المسلمات التي وضعها قبله بمائتي سنة العالم الفيزيائي إسحاق نيوتن -الأب الروحي للفيزياء في عصره وفي العصور اللاحقة- وغيره، ثم سار عليها بقية العلماء ردحاً من الزمن فأيقن آينشتاين أنها جهد بشري وأخضعها للبحث والمساءلة فبنى على الصلب منها، وعدل ما رآه محتاجاً لتعديل، وافترض مسلمات أخرى

لكن بدايته كانت من ملاحظاته عن الضوء فقد كان شغوفاً بالتعرف أكثر

حيال هذا الشيء، وهو أكثر شيء نألفه في حياتنا بل في حياة البشرية منذ نشأتها، ومع ذلك فقد كان الضوء منطلق ذلك العبقري وقاده إبداعه إلى طرح الأسئلة والبحث عن أجوبتها، ثم كانت رحلته الفكرية العلمية العميقة والتي كانت تصادم في كل خطوة أحد المسلمات التي ينتشر الاعتقاد حولها أنها مسلمات

فلو أن آينشتاين ارتدع عن الخوض فيما أقدم عليه خشية تقويض دعائم المسلمات التي أعود لأذكر أنها جهد بشري لا وحي إلهي لما وصلنا لما نحن فيه الآن

ولا أستغرب إن جاء زمان وعدلت فيه النظرية النسبية أو نقضت بكاملها فالجهد البشري ابن بيئته وعصره

ولا ضير أبداً في إخضاع كل جهد بشري للمناقشة والسؤال، فإن ثبت وصمد في الاختبار فسنكون قد ازددنا فيه يقيناً، وإن لم يصمد فيكون مسلماً زائفاً صنعناه من وهمنا ولا يستحق أن يعتمد عليه

مهما بدا الإنسان في صحة جيدة وفي عنفوان شبابه فهذا لا يمنع من إعادة الفحص الطبي كل فترة، فقد يستجد مرض خفي لا تظهر أعراضه بسرعة فيستفحل في جسده ويقوى وإن كان صحيح الجسم فسيزداد اطمئناناً بذلك

لطالما كنا نُخبَر أن هذا الشيء الفلاني مستحيل، وذاك أقرب للخيال، وهذا خط أحمر لا يجوز الاقتراب من جنابه، وهذا من أمتن المسلمات
فلا بد لنا أن نطور أجهزة قياسنا وأن نحمل معنا دائماً مزيل طلاء لنتأكد أن الخطوط التي قيل لنا أنها حمراء هل هي حمراء بالفعل؟ أم أن أحداً ما قد طلاها بالأحمر؟
ومزيل الطلاء هذا هو العلم

تذكر دائماً أن كلمة مستحيل هي بمثابة المكابح لعجلة التقدم والتطور المعرفي والعملي وكذلك كلمة المسلمات الدائمة لها نفس الأثر في حياتنا

كل شيء في الكون نسبي ولا أحكام مطلقة

هذا سمين ... بالنسبة لمن؟؟

هذا قوي ... بالنسبة لمن؟؟

هذا سريع ... بالنسبة لمن؟؟

ليس هناك حكم عام يمكن إطلاقه على كل شيء

فلنأخذ مفهوم الجمال مثلاً فنحن دائماً نطلق على شيء أنه جميل بالمقارنة مع شيء آخر أو بالمقارنة مع صورة في الذهن مسبقة

فلو افترضنا شخصاً على عينيه غشاوة فهو أعمى ولم يسمع من قبل كلام الناس عن وصف الأشياء وبالتالي فلا صور ذهنية مسبقة مرسومة في ذهنه فلو قدر له أن يماط اللثام عن عينيه فرأى الأشياء من حوله وقلنا له احكم على ما حولك من أشياء من حيث جمالها فهل بظنكم أن باستطاعته أن يطلق حكماً عليها؟؟

التاجر الذي يربح في سنة نصف ما ربحه في السنة السابقة قد يعتبر ذلك خسارة إذا ما قارن الأرقام بأرقام السنة الماضية، وقد يعتبرها ربحاً إذا ما قارنها برأس المال الأصلي، وقد يعتبرها ربحاً مضاعفاً إذا ما قارنها بحجم التضخم الذي حدث هذا العام والانهيار الاقتصادي الذي رافقه

فكما قلنا: كل ما في الكون نسبي بل أن مفهوم الزمن الذي كنا نعتقد بدهاً أننا نفهمه على أنه قانون موحد يسري في كل أنحاء الكون أثبتت النظرية النسبية بطلان هذا التعميم، وأن كل متحرك يحمل زمنه معه، وهو دائماً يقاس بالنسبة لجملة مقارنة معينة

فإذا علمنا ذلك تبين لنا أن كل شيء يتصل بالبشر من فعل أو قول أو تفكير أو تفاعل، فهو يخضع لقانون النسبية الذي تخضع له كل المخلوقات وبالتالي عَلمنا أن كل اجتهاد قام به عالم من العلماء لا يمكن بأي شكل أن يكون الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكن نتيقن أنه يخضع لقانون النسبية وبالتالي فدرجة صحته تحسب من مئة وبالمقارنة مع جملة مقارنة

ولنقف قليلاً مع هذا المفهوم

جملة المقارنة كانت بالنسبة له هي ما وصله من علوم ومعارف، وبالتالي فعلومنا ومعارفنا اليوم هي جملة مقارنة أخرى غير تلك

وكلما تغيرت جملة المقارنة فإن النتائج حتمياً ستتغير، ومن المستحيل أن تتطابق مئة في المئة

فرياضياً لكل جملة مقارنة إحداثياتها التي تتشكل من أبعادها الأربعة

(الطول والعرض والعمق والزمن، وقد تكثر الأبعاد أكثر من ذلك إذا أخذنا أموراً أخرى في الاعتبار) وبالتالي فلو تطابق الطول والعرض والارتفاع فلن يتطابق الزمن، وبالتالي فهي جملة مقارنة جديدة

وفعلياً ظروف الواقع وتغير العصور يؤثر كثيراً على حكمنا وتفاعلنا مع كل شيء، ولهذا العصر حاجياته وله أسئلته ورؤيته التي لن تحلها رؤية وأجوبة العصور السابقة

كما أننا يجب أن نراعي ظروف ومفاهيم وعلوم العصر الذي ظهرت فيه فتوى أو اجتهاد العالم الفلاني فنتفهم أن جملة مقارنته تختلف عن جملة مقارنتنا، فبالتالي لا يوجد اجتهاد بشري صحيح مطلقاً بل هذا من شأن علم الله تعالى وحده

بل لا يوجد عالم تصيب أحكامه واجتهاداته في كل المسائل بصواب مطلق بل لكل مسألة جزيئة ميزان خاص، ولكل قول في هذا الميزان وزن معين وليس هناك مذهب أو فكر أو تيار مصيب دائماُ في كل شيء، بل يجب أن نأخذ كل مسألة على حدة

وقد يكون الأقرب للصواب بالنسبة لعصره (جملة مقارنته) ولكن الأمر قد يختلف بالنسبة لعصرنا (جملة مقارنة أخرى)

إن النظر من هذه الزاوية المتسعة للأمور يعطينا صدراً أرحب وفكراً مستوعباً لتقبل كل نقد ورأي واجتهاد، والمصيبة كل المصيبة أن يعتقد المرء أن رأيه أو رأي شيخه هو الصواب المطلق فذلك شرك مع الله تعالى لأنه كما أوضحنا ألّا علم بشرياً يرقى أن يكون الحق المطلق، وليس ذلك إلا لله تعالى، وكل ما هو بشري فمن طبيعته النقص ويخضع لقانون النسبية

ولن يحل الإشكال الذي ينتج عندك بعد قراءة هذه الكلمات إلا إذا فصلت فصلاً تاماً بين ما هو إلهي وما هو بشري

كلام الله تعالى هو الحق المطلق فإذا ما اقتبَس عالم معين آية أو حديثاً صحيحاً ليستدل بهما على مسألة معينة فإن كل الكلام الذي يأتي بعد انتهاء الاقتباس من النص المقدس هو كلام بشري حتى ولو كان تفسيراً له

وبالتالي فالجهد البشري يحتاج إلى دليل وإثباتات وطول حجاج ولا نسلم له لمجرد أن فلاناً قاله أو أن فلاناً صدقه

وهو نسبي من حيث قربه أو بعده عن الصواب

قد يكمن الإبداع في أكثر شيء نألفه

فكما أسلفنا أن منشأ نظرية آينشتاين النسبية هو ملاحظاته عن الضوء وتلهفه لمعرفة المزيد عنه وهو أكثر شيء نألفه

فالتفكير خارج الصندوق لا يعني بالضرورة أن تسرح بخيالك في عالم افتراضي، بل أن تنظر لما حولك بطريقة أخرى غير اعتيادية جزء مهم من الإبداع ومدخل عظيم من مداخله

لكن بدون التساؤل والتلهف لكشف آفاق جديدة لا يولد إبداع ولا يأتي جديد

فالتساؤل مفتاح الإبداع

فالطفل يرى من الغيم المتناثر أشكالاً مختلفة ويجري من الجنود البلاستيكيين معركة حقيقية يتفاعل معها بعواطفه وحواسه بل ينشأ لعبة جديدة ويضع لها القوانين أليس هذا ابداعاً؟؟

ولا يمل من طرح الأسئلة ولا يتعب حتى من تكرارها لأن مصباحه ما يزال ضعيفاً والكون مظلم بالنسبة له، فمتى اقتنع المرء بقوة مصباحه فعندها يكون قد دفن الإبداع وأهال عليه التراب بيديه

المراقب الداخلي والخارجي (خطاب العصر)

من الأساسيات التي قامت عليها النظرية النسبية هي أن شيئاً ما لا يسمى ثابتاً ولا متحركاً إلا بالنسبة لجملة مقارنة سواء كانت داخلية أو خارجية

من أكثر المشاكل التي نعانيها في مجتمعاتنا هي أن شباب هذا الجيل الذي تعلم علوم العصر وبدأ يرى الكون بنظارة هذا العصر يتلقى خطاباً موغلاً في القدم، ليس في المضمون فحسب بل في المصطلحات أيضاً فهناك فجوة في الوعي وأزمة فكر عميقة وشرخ بين الخطاب الذي يقدم لنا وبين متطلبات وأدوات ومفاهيم العصر الذي نعيشه

لم يدرك أغلب من يصنعون الخطاب الديني على وجه التحديد (بحكم أننا مجتمع ينطلق من الدين نحو كل شيء في هذه الحياة حتى في الأمور الحياتية الصرفة التي لم يذكر الدين شيئاً عنها أو ترك لنا حرية البحث عنها ووضع لنا خطوطاً عامة وإرشادات نهتدي بها) هذه القضية

لقد جمد الخطاب الديني وثبت مكانه (وبما أن الزمن يسير للأمام بالنسبة له فهو يتراجع ويصبح من الماضي) عندما تحول المسلمون من الإجابة عن مسائل العصر إلى التفرغ لشرح المتون واختصار المطولات وعندها توقفت الساعة الحضارية وهي الآن في تلك اللحظة ما تزال تراوح مكانها

وإذا اتفقنا أن لكل عصر أسئلته وأدواته ومصطلحاته وعلومه الخاصة به فعلى من يصوغ الخطاب الإسلامي في شتى علومه أن يعي هذه الأمور ويضعها في حسبانه ويستعملها لصياغة خطابه، فمن لا يجيب عن أسئلة هذا العصر يكون خارجاً من السباق تلقائياً

فيجب أن يواكب الخطاب الديني العصر الذي هو فيه، وأن يصاغ من جديد مراعياً ما وصلنا إليه من علوم ومعارف وأدوات ومصطلحات، وأن يتوجه للأسئلة التي تشغل الناس في هذا العصر فما شأني فيمن يقول بخلق القرآن أو من يقول بأمر عفى عنه الزمن وأصبح ماضياً بالنسبة لنا جميعاً وليس مطروحاً اليوم بل يجب أن تتركز الجهود للإجابة عن أسئلة هذا العصر

ويجب أن تراعى هموم المواطن والأمور التي تشغل باله وحياته اليومية أذكر منذ طفولتي حين أدخل المسجد لحضور خطبة الجمعة وكأني جالس في آلة زمن تنقلي مئات السنين في الماضي فلا أعرف أني عدت للعصر الذي نحن فيه إلا إن خرجنا من الخطبة!!

أما بالنسبة للمراقب الخارجي (غير المسلمين) فيجب أن يراعى - إضافة لما ذكرناه آنفاً - اللغة التي يستعملها الآخر وطريقة التفكير التي ينظر بها

للأشياء من حوله، وهذا يقتضي الانفتاح على علومهم وثقافتهم واستيعابها والتآلف معها، ويجب أن يختلف الخطاب معهم عن الخطاب الذي يقدم (للمراقب الداخلي) فالاختلاف بينهما كبير ولا مجال للمقارنة

تصور مندوب مبيعات يعرض بضاعته على شخص بلغة لا يفهمها فهل سيتفاعل الزبون معه فضلاً عن أن يشتري منه، مع افتراضنا أن البضاعة مجهولة لدى الزبون

فالداعية هو بمثابة التاجر الذي يعرض بضاعته لمن يشتري - والمثال للتقريب- فإن التاجر لن يكتفي بتعلم لغة الزبون بل سيتعلم طريقة تفكيره ليعرف كيف سيخاطبه، ولن يكون خطابه بنفس الطريقة التي يخاطب بها زبوناً مداوماً عنده ويعرف بضاعته جيداً وجودتها ومواصفاتها

كما يجدر الانتباه إلى أن درجة نجاح الخطاب -وهو جهد بشري- يقيّمه المراقب الذي يوجه له الخطاب وليس من يصوغه فذاك من سيتلقى الخطاب وسيحكم عليه وسيعمل بمقتضى تقييمه له

فكم من أناس وصلتهم صورة مشوهة عن الدين فرفضوه لا عناداً ولا جحوداً بل لأنهم رفضوا الصورة الزائفة عن الدين من بعض من يدعونه أو التي صنعها الإعلام لهم وحكموا بمقتضاها

فعلى عاتقنا مسؤولية مضاعفة تجاه المراقبَين الداخلي والخارجي ومن كونهم أشخاصاً يعيشون في القرن الحادي والعشرين، وأخذ كل ذلك في عين الاعتبار

وعلى الصعيد الشخصي إذا ما واجهتك مشكلة واستعصى عليك حلها فاستعن بمراقب خارجي يرى المشكلة من خارجها ولا يتعرض للضغوط الملقاة على عاتقك

البداية حيث انتهى الآخرون

يكثر الجدل حول انفراد آينشتاين بالنسبية لوحده، ومدى قرب أو بعد علماء آخرين في التوصل لنفس النتائج أو شبيهها

لكن من المؤكد أن آينشتاين رغم عظم نظريته إلا أنه لم يبدأ من الصفر بل كان شغوفاً لمعرفة آخر ما توصل إليه العلماء في عصره، وكان حلقة في سلسلة طويلة من الجهود وتراكم التجارب والمحاولات

من المؤكد أن البداية من حيث انتهى الآخرون أمر مهم لمن يريدون التقدم والتميز، ولا يبدأ من الصفر إلا من أراد أن يذهب عمره هباء

قد لا نتفق معهم في كل شيء لكن تجاربهم وأخطاءهم وفشلهم ونجاحاتهم تمثل كنزاً بالنسبة لنا، والفطن من استفاد من تجارب غيره ولم يكرر الخطأ مرة أخرى

الحضارة الإسلامية كانت عظيمة بلا شك رغم كل ما فيها من أخطاء وسلبيات إلا أنها كانت حلقة ضمن سلسلة الحضارة البشرية

والأيام دول يقلبها الله تعالى بين الناس حسب الجد والاجتهاد والسعي لإعمار الأرض، فاليوم دفة القيادة بيد غيرنا ولكن ما الذي يمنعنا أن تكون الدفة لنا قريباً؟؟!!

لكن من المهم جداً أن نبدأ حيث انتهى الآخرون

الهندسة الإقليدية والواقع

كلنا تعلمنا في المدارس مبادئ الهندسة الإقليدية، والتي فيها أن الخطوط المستقيمة حين يتم إسقاطها على مستو تظل مستقيمة، بينما في الواقع لا يوجد هذا المستو إلا في التطبيقات البسيطة والحيز الصغير أما إذا طبقنا هذا القانون على مستقيم يصل بين مدينتين من قارتين مختلفتين سنجد أن الخط الذي سيصل بينهما على الأرض لن يظل مستقيماً بل سينحني مع انحناء الأرض فهي كما نعرف جميعاً كروية مفلطحة

ونتج حسب النظرية النسبية أنه حتى الضوء لا يسير في الفضاء بشكل مستقيم بل ينحني حسب جاذبية الأجسام التي تلتقيه أثناء مسيره

وإذا ما شبهنا تعاليم الدين الحنيف من قرآن وسنة صحيحة بالخطوط المستقيمة فإن محاولة تطبيقنا لهذه التعاليم - ونحن بشر- تشبه عملية إسقاط المستقيم هندسياً على أرض الواقع

فيمكن في المساحات الشخصية الصغيرة أن يكون الإسقاط تاماً ويكون الناتج مستقيماً تماماً، أما في المساحات الأكبر والأوسع في فضاء المجتمع والدول والجماعات فسيتأثر الإسقاط بمدى استواء أو انحناء السطح (المجتمع-الدولة-الجماعة) الذي يتم عليه الإسقاط

وبالتالي فإن رأيت الإسقاط متعرجاً فلا تعيبن على الخط المستقيم وإنما العيب على السطح الذي تم عليه الإسقاط

وهذا ما يفسر الفرق الذي يكون شاسعاً أحياناً بين تعاليم ديننا وبين واقعنا وبالتالي إذا أردنا أن يكون الشكل الذي نريد أن ينتج من عملية الإسقاط مستقيماً بأكبر قدر فالأفضل أن نعود إلى المستقيم الأساسي (المنبع الأصلي) ونحاول تسوية السطح الذي سيتم عليه الإسقاط (واقعنا) ونصلح التعرجات فيه وعندها ننجح في المهمة بإذن الله

علينا أن نميز تماماً بين تعاليم الإسلام (من عند الله تعالى) وبين إسقاطنا لهذه التعاليم على واقعنا، ومحاولة تطبيقنا لها فالخطأ ومعيار النجاح والفشل يتوجه نحو جهدنا البشري لا نحو دين الله تعالى، والمشكلة دائماً في التطبيق وفي تفاعلنا البشري مع النص

وإذا أخذنا بُعد الزمن في المعادلة كما تقرر النظرية النسبية فإننا ولو وجدنا في ماضينا ظروفاً لإسقاط تعاليم الدين تشابه ظروفنا، والواقع الذي سنسقط عليه يشابه واقعنا اليوم إلا أنه يجب أن نأخذ في حسباننا عامل الزمن

إذ لو تشابه كل شيء حتى ولو تطابقا تماماً إلا أن عامل الزمن سيكون

حاسماً في الموضوع

فالقرن الخامس هجري مثلاً ليس كالقرن الحادي والعشرين وبالتالي ستبوء عملية التقليد تلك في الإسقاط بالفشل فلا بد أن نضع في حسباننا تغير مفاهيم العصر وأدواته وحاجياته وعلومه ومعارفه

لا بد من هندسة جديدة

بعد أن أقرنت النسبية الزمان بالمكان وأصبحا شيئاً واحداً لا ينفصلان عن بعضهما، فأصبح لا بد من هندسة جديدة تأخذ الزمن في الحسبان

لا بد من هندسة جديدة لحياتنا ولعقولنا

لا بد من هندسة جديدة لرؤيتنا للحياة

لا بد من هندسة جديدة تشمل كل مجالات الحياة من صحة وتعليم واقتصاد ومجتمع وسياسة وجيش وأمن و.....

الهندسة القديمة ما عادت تفي بالغرض

لأنها ببساطة لا تأخذ بعد الزمان ضمن حساباتها

نحن أبناء القرن الحادي والعشرين وهذا ينبغي أن يدخل ضمن الهندسة الجديدة بل يجب أن تستبق المستقبل وتستشرفه

وعلى المستوى الشخصي لا بد لنا من هندسة جديدة لعلاقاتنا وترتيب حياتنا ونظرتنا للعالم من حولنا

لا بد من هندسة جديدة ...

لا توجد حركة مطلقة ولا مراقب مرجعي

تنص النظرية النسبية ألا وجود لحركة مطلقة تميز مشاهداً معينا عن غيره وإنما يمكن دراسة الأجسام بالنسبة لبعضها البعض ولا يوجد مختبر "مرجعي" يميز عملية القياس

بمعنى آخر وبعبارة مبسطة:
أي مراقب للحركة في هذا الوجود سواء كان خارجياً أم داخلياً، قريباً أم بعيداً، فإن حكمه عن حركة الجسم الذي يراه سيتقيد بمكانه وزمانه ولن يكون حكماً عاماً أو مرجعياً لكل المراقبين

كنتَ نائماً ولما استيقظت شاهدت كل الأمور طبيعية وساكنة ولا شيء يشير إلى الحركة، وأطلقت حكمك أن المكان الذي أنت فيه ساكن لا يتحرك، وبعد قليل نظرت من النافذة وإذ بكل شيء يتحرك من حولك ولكنك تعتقد أنك ساكن، فأطلقت حكماً آخر أن كل ما حولك يتحرك بينما أنت ساكن، وسقف الغرفة التي أنت فيها مكشوف فنظرت لأعلى فرأيت طائرة شراعية ولكنك وجدتها ساكنة، وهذا ما أثار استغرابك إذ كيف لطائرة شراعية أن تعلوك في السماء وهي ساكنة**!!**

وإذا ما سألنا مراقباً خارجياً عن حكمه على الموضوع سيقول:

الغرفة التي يقبع فيها ذلك الشخص تتحرك حركة مستقيمة منتظمة والأشياء من حوله ساكنة لا تتحرك والطائرة الشراعية تحلق فوق غرفته بنفس جهة وسرعة الغرفة

فلو أن كل واحد منهما تعصب لرأيه واحتج بأنه رأى بأم عينه وكلامه حقيقة مطلقة، وحكمه مرجعي، وأنه لن يتنازل عن كلامه، ونشأ لكل واحد منهما أتباع ومناصرون تعصبوا شيئاً فشيئاً لرأيهم، وأنشأوا تياراً فكرياً له جماهيره، ومع الزمن سيطالبون بإقصاء وتهميش وربما سحق المخالفين لهم لأنهم يحجبون نور الحقيقة الساطع، كيف سيكون الحال؟؟

وسع أفقك وانظر من عين الآخرين للأشياء واجعل صدرك رحباً لتقبل كل وجهات النظر، بل اسع وافرح لسماعك قولاً مخالفاً، فالقول الموافق لك لا يقدم لك أي جديد، وإنما هو تكرار لقناعاتك، وأما القول المغاير يفتح لك آفاقاً جديدة ويريك الأمور من زاوية أخرى

اخرج من غرفتك المتحركة

أو ادخل فيها إن كنت خارجها

وتذكر دائماً: ليس في المخلوقات جميعها "مختبر" مرجعي يمكن لأحكامه أن تعمم مطلقاً في كل شيء بل لكل قضية حكمها الخاص من زاوية نظر خاصة بالمراقب وتموضعه وسعة أفقه ودقة أحكامه واطلاعه على الواقع

هل الحق نسبي؟ هل مفهوم الزمن واحد وثابت؟

من النتائج العظيمة للنظرية النسبية هي تغير رؤيتنا ومفهومنا حول الزمن فقد كان الاعتقاد السائد أن الزمن يسير في مجرى الحياة وأنه مفهوم ثابت في كل أرجاء الكون، لكن تبين وفق النظرية النسبية أن مفهوم الزمن نسبي يرجع لسرعة المتحرك، وجملة المقارنة التي تقارن هذه الحركة بها وبالتالي فهو أزمان، لكل متحرك مع جملة مقارنة معينة وبسرعة معينة زمن معين

وبالتالي فالزمن هو عداد للحركة، ولهذا الأمر تداعياته العظيمة في مختلف العلوم والمجالات

وبالنسبة للحق فهل هو مفهوم ثابت واحد أم أنه نسبي أيضاً؟؟

أولاً الكل متفق على أن الحق في علم الله حق ثابت واضح لا يتزعزع وهذا لا ينتطح به عنزان

ولكن حديثنا هو عن الجهود البشرية دائماً، فالنص المقدس لا يُستعمل فوراً ولكن يأتيه الجهد البشري بالشرح والتحليل والربط والتعميم والتخصيص وهذا كله جهد بشري، لذا فهو ليس الحق المطلق في علم الله تعالى وبالتالي فهو خاضع لظروف البيئة ويتأثر بالمفاهيم السائدة في ذلك العصر ومتعرض للسهو والخطأ فهو بشري كما قلنا

إذا شبهنا سرعة الجسم بسرعة الوعي والإدراك وشبهنا علوم العصر ومعارفه بالقوة الدافعة الأولية التي تمنح الجسم السرعة الابتدائية، فإنك ستجد فرقاً كبيراً بين جسم ينطلق ابتداءً من سرعة تفوق سرعة جسم آخر بعد انطلاقه فعندها يكون السباق غير عادل

وهذا لا ينفي أن يكون في تراثنا صواريخ وطائرات نفاثة قد سبقت عصرها واخترقت جدران العصور، فسرعة الوعي والإدراك تلعب دوراً كبيراً، ولكن هذا لا يقودنا أيضاً أن نطلق حكماً عاماً أن ملاذنا الوحيد في صفحات الكتب الصفراء فهذا انتحار فكري وعقلي

إذا شبهنا -ولله المثل الأعلى- الحق الثابت الدامغ في علم الله تعالى بالهدف الذي يحاول الناس جاهدين أن يصوبوا نحوه
وشبهنا نوع السلاح الذي يرمي به كل عالم هو معارف العصر وعلومه فبدون شك أن الذي يملك سلاحاً متطوراً ومنظاراً قوياً وحساسات أفضل هو صاحب الحظ الأوفى بإصابة الهدف، ولكن ليس بالضرورة أن يصيب الهدف فمهارات الرامي (وعيه وإدراكه ومعارفه الذاتية) تلعب دوراً كبيراً
وهكذا فإن العلماء يصوبون نحو الهدف فيصيبونه في بعض الرميات أو يقاربون ذلك أو يشطحون بعيداً عن الهدف

والسباق ما زال مفتوحاً ولم تعلن النهاية لكن إذا تكاسل بعض اللاعبين وأعلنوا إنهاء السباق فهذا لا يعني بحال من الأحوال أن السباق انتهى بل هو يزداد ضراوة وشراسة والمنافسون الآخرون قد طوروا أسلحتهم ومهاراتهم بينما نحن ما نزال نعلن انسحابنا من السباق!!!

أخطر وأعظم أمر يجب أن نعيه وأكرره كثيراً لأهميته وشدة خطورته هو أن نميز تماماً بين كلام الخالق وقدرته وعلمه، وبين كلام وقدرة وعلم المخلوق، ومن أهم ما أكده الإسلام هو هذه الحقيقة

نحن نعي هذه الحقيقة ونعرفها جيداً فأين تكمن المشكلة؟؟

المشكلة تكمن كما قلنا في قدم هذا الطرح والهالة التي تحيط بقائله فهو يكتسب مشروعيته من قدمه لا من دليل ذاتي يثبت نفسه عبر تقادم الزمن

فيجب أن نقيم حاجز تفتيش دقيق وصارم عند مدخل المستقبل الذي ننشده والحضارة التي نترقبها، فلا يعبر معنا إلا ما يحمل بطاقة عبور، وهي الدليل الذاتي، وتمنع المحسوبيات والرشاوي والتمييز، فكل ما لا يملك بطاقة عبور عليه أن يبقى في الماضي في متحف الذكريات، ولن يعبر إلا من تحرر من سطوة القديم وهالة التقديس والتعظيم لقول فلان أو فلان بدون دليل علمي دامغ

ومفهوم النسبية في الجهد البشري ومقاربته أو إصابته للحق قد يتطلب تعديلاً طفيفاً أو كبيراً، وقد يعطينا فكرة عن تأثير هذه الأفكار بالوسط الذي انتشرت فيه، وبالتالي نتجنبها ونتفاداها فالتاريخ والتراث يمكن الاستفادة منه بكل الأحوال، فما كان صواباً مطلقاً حملناه في زادنا خلال رحلتنا في ركب الحضارة وما كان يلزمه تعديل أو إصلاح أصلحناه وطورناه، وما كان مهترئاً لا يمكن إصلاحه يكون عبرة لنا كيلا نقلده، وهكذا نكون استفدنا من تراثنا بالشكل الأمثل في نهضتنا، لكن كما قلنا في الفقرة السابقة علينا أن نستخدم وسائل العصر وعلومه ومعارفه ومصطلحاته، فهي أدواتنا في عملية التنقيب في التراث، فلا يمكن أن ننقب في التراث بنفس أدواته فعندها لن نكتشف مكان الخلل ولن نصل لمبتغانا

بين الخيال والعلم

بدا لجميع من سمع بالنسبية أول ظهورها أنها ضرب من الخيال وكلام في الفلسفة والخيال العلمي

إنه الخيال الذي حدا بآينشتاين لينطلق في هذا الكون الرحب

لقد تخيل بادئ الأمر وفكر:

ما الذي سيحدث لو أني ركبت صهوة الضوء؟؟!!

بدى الأمر جنونياً

لكن سعة الخيال هي التي فتحت أمامه آفاقاً جديدة، وبعد أن قدم نظريته تنبأ وأعمل خياله ليفتح الآفاق لآخرين

الخيال دائماً هو المقطورة الأولى التي تمهد للعلم وتفتح له الأبواب

كل علم يسبقه الخيال والتساؤل

تخيل معي لو اجتمع في شبابنا الخيال وحب الاطلاع والفضول والتساؤل

كيف سيصبح حال أمتنا حينها

وهنا يبرز سؤال مهم يحتاج للبحث له عن إجابة:

هل فِكرنا كأمة مسلمة هو فكر سباق أم فكر لحاق؟؟

هل مستوى وعينا واهتماماتنا يعكس المستوى المطلوب؟؟

هل ندور في حلقة مفرغة من الجدال والنقاشات العقيمة أم نفتح بخيالنا

وتساؤلنا أبواب المستقبل؟؟

يروى أن الإمام أبا حنيفة النعمان كان لديه أكثر من ستة آلاف مسألة فقهية افترضها من خياله وبحث لها عن أجوبة**!!**

ويقال إنه عند ظهور المذياع وانتشاره اجتمع العلماء ليتناقشوا في مسألة تحدث المرأة عبر المذياع واحتدم النقاش بينهم واستمر إلى أن ظهر التلفاز فانتقل البحث إلى النظر في حكم صورة المرأة وصوتها عبره

وإذا ما نقلنا نظرنا عبر التاريخ نجد أن الفكر يتألق ويسطع نجمه كلما كان مخياله أوسع فهو بمثابة عربة الجر التي تقود قطار الفكر

وإذا كان الفكر عديم الخيال كان مستحقاً أن يكون فكر التحاق وتقليد وتبعية

هل نقد التراث سيصيبنا بالعجز أم سيعيننا على النهوض؟؟

(علاقة النسبية بمبادئ نيوتن)

أعلم مقدار الحساسية في طرح مثل هذه المواضيع ولذلك سأسهب في هذه النقطة كي تتضح الفكرة تماماً ولا يساء فهمها وسأشرح الفكرة من قصة النسبية مع مبادئ نيوتن

كما قلنا سالفاً أن الفكر ابن بيئته وعصره، والعلوم تولدها الأفكار فكلا الأمرين يتفاعلان مع بعضهما البعض وينتج كل منهما الآخر

فقبل أن يُكتشف أن الأرض تدور وأنها ليست مركز الكون، كان الاعتقاد السائد في كل أنحاء العالم أن الأرض ثابتة لا تدور، وبالتالي فإن قال بهذا القول جهابذة عصورهم فهذا أمر معقول مقبول

لأن المرء يتأثر ببيئته وعلوم عصره ومعارفه في طرح أفكاره، وهو إن قفز بها فلن يقفز بعيداً مهما شطح به الفكر وجال به الإبداع، ولأن أقرانه في عصره سينكرون عليه، وبالتالي فإن قفزته ولو كانت نوعية وبعيدة وموفقة فتظل بالنسبة لعصرها وأوانها

فاكتشاف النار مثلاً كان أعظم اكتشاف لأزمان بعد اكتشافها لكن إذا قارنته بالعلوم التي وصلنا لها في القرن الحادي والعشرين تجدها أمراً بسيطاً جداً قد لا تعيره انتباهك

وفي عصر نيوتن كانت العلوم والمعارف بالقدر الذي قدم فيه نيوتن نظريته ووضع قوانين الفيزياء التقليدية وكانت قفزة نوعية استمرت إلى عصر النظرية النسبية

فقوانينه ظلت مرجعاً للعلماء في عصره وفي المائتي سنة التالية، وتلاءمت مع المعارف التي توصلت لها البشرية حينها، فهي ليست باطلاً محضاً لكنها تتكلم عن جانب من الفيزياء، وجاء آينشتاين فصحح بعض المفاهيم وعدل البعض الآخر وقدم قوانين أكثر دقة وأوسع في الكون

فالحق كان مع نيوتن نسبياً وهو مع آينشتاين نسبي أيضاً فقد يأتي من يعدل أو يصحح بعض ما جاء في نظريته

قد يقول قائل: أن هذا الكلام صحيح لكنه ينطبق على العلوم التطبيقية ولا ينسحب على العلوم الدينية ولا يمكن تطبيقه على الدين نفسه**!!**

وذلك بسبب اللبس المتكرر من الخلط بين النص المقدس (الدين) الموحى به من لدن العليم الخبير، وبين الجهد البشري الذي تفاعل ويتفاعل مع هذا النص

فعلوم الشريعة كلها (العقيدة - الفقه - الجرح والتعديل - علم الرجال - أسباب النزول - التفسير-علوم اللغة - أصول الفقه....) كلها جهود بشرية نتيجة تفاعل العقل البشري مع النص المقدس

فنحن في حياتنا اليومية نتعامل مع هذه العلوم ولا نتعامل مع النص

المقدس بمفرده إلا في النصوص واضحة الدلالة التي لا تحتاج إلى جهد بشري لشرحها، ومع ذلك ترى الجهد البشري يتدخل بها في الربط بينها وبين أمور أخرى

فلولا إخضاع آينشتاين لمبادئ نيوتن لمحكمة الدليل والبرهان لما ولد العصر الجديد، ولما حدثت الثورة التقنية، ونحن بحاجة أن نخضع تراثنا (الجهد البشري الذي تفاعل مع النص) لمحكمة الدليل والبرهان ونستعمل أدوات العصر في تلك المحاكمة، وإلا فسنظل عالقين في فجوتنا الحضارية نراوح مكاننا وركب الحضارة يمضي ولن يقف لأجل أحد

الحركة بركة (الزمن يتباطأ اطراداً مع السرعة)

من نتائج النظرية النسبية أن الزمن مفهوم نسبي يتناسب مع سرعة المتحرك فكلما ازدادت السرعة تباطأً الزمن حتى ينعدم عندما تبلغ سرعة المتحرك سرعة الضوء ويصبح في اللازمان

ومنا هنا نستفيد أنه يلزمنا لردم الفجوة الحضارية التي وقعنا فيها المزيد من العمل والقراءة والفهم، وعندها يتباطأ الزمن الحضاري بالنسبة لنا ونستطيع اللحاق بالركب بل قيادته

علينا أن نعي تماماً طالما أننا لا نتحرك علمياً ومعرفياً وعملياً فلن نستطيع التقدم إلا في الأحلام والخيال أما في الواقع فالحركة ضرورية لنا (والحركة بركة)

بوصلة حركتنا

لنفرض أن شخصاً يجلس في بقعة ما على ظهر الأرض وأن مخلوقاً فضائياً في كوكب ما يبعد عن هذا الشخص مسافة كونية معينة فإذا تحرك هذا الكائن الفضائي على وسيلة ما فإنه حسب النظرية النسبية يتحرك نحو ماضي الشخص الأرضي أو مستقبله حسب جهة حركته (نحوه أم بالاتجاه الآخر)

ونحن أيضاً حين نسير بالنسبة لركب الحضارة فنحن نغوص إمعاناً في الماضي البشري أو نسير باتجاه المستقبل، وذلك حسب توجهنا الفكري

فهل نيمم بفكرنا شطر الماضي أم شطر المستقبل؟؟

هذا سؤال مهم جداً وعلينا أن نجيب عليه بكل جرأة وصدق فهو البداية لسلوك طريق جديد

هل ما زلنا مستيقنين أن الحل بكل تفاصيله يكمن في الماضي؟؟ وللتذكير فهو جهد بشري لتطبيق النص المقدس

وإذا أخذنا في اعتبارنا أن النص المقدس وهو كلام الله أو الموحى معنى من قبله هو جزء من علم الله الذي لا يخضع للزمان، ولا هو نتيجة تراكم خبرة، ولا سابقة تعليم، علمنا أن النص المقدس لا يتقادم مع مرور الزمن ولا يتخلخل مع تقادم العصور، واستطعنا أن نفهم أنه يلزمنا اصطحابه معنا

في رحلتنا الحضارية، أما الجهد البشري الذي ترافق مع هذه النصوص فيمكننا نقده وتحليله وإخضاعه لمحكمة الدليل والبرهان

وعلمنا أن الرجوع للقرآن الكريم وما ثبت من الأحاديث النبوية ليس رجوعاً إلى الماضي لأنه غير خاضع لمفهوم الزمان
أما رجوعنا بالكلية إلى تفاعل الجهد البشري معه في عصر ما فهو اتجاه نحو الماضي ولن يزيدنا ذلك إلا إمعاناً وتوغلاً في ماضي الحضارة البشرية، وأقصد رجوعنا بالكلية أن ننظر إلى الماضي أن باعتباره صندوق الحل، وأن الحل بكل تفاصيل موجود في أحد زواياه وما علينا إلا استخراجه وتطبيقه كما هو

ومن ييمم فكره وعقله صوب الماضي ويظن أنه يستطيع استخدام ما يحلو له من الماضي في المستقبل كما هو دون تعديل أو تكييف مع العصر، فهو واهم ويمكننا القول له بكل ثقة:
أنت تسير في الاتجاه الخاطئ
وهذا الكلام ينطبق على الاتجاه صوب الماضي بالكلية وإرادة إعادة إحياء تجربة أو عصر من العصور الماضية في هذا العصر كما هي

أزمنة لا زمان واحد

من أهم نتائج النظرية النسبية أنها أثبتت أن مفهوم الزمن ليس شيئاً واحداً مستقراً في الكون، وإنما هو متعلق بسرعة المتحرك بالنسبة لجملة مقارنة محددة على محور إسناد معين

وبالتالي يمكن القول لمن ينادي بالرجوع بكليتنا نحو الماضي وإعادة تطبيق تجاربه أو جعلها المركز الذي تتحرك حوله أفكارنا

يا سيدي أي شيءٍ من الماضي تريدنا أن نطبق؟؟ أم هل نطبقه كله جملة واحدة؟؟

لنتكلم في الجانب السياسي مثلاً وفي مسألة اختيار الحاكم ثم لك أن تنظر في باقي المجالات وتحكم

فبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك طريقة محددة لاختيار الحاكم، وإنما كان هناك تصورات مختلفة لنظام الحكم نفسه وبالتالي اختيار من يحكم

فالأنصار كان لديهم تصور أن المهاجرين وقد فُتحت مكة فأمكن لهم أن يعودوا لها، وبالتالي يجب اختيار زعيم يحكم المدينة من الأنصار بينما كان رأي سيدنا الصديق أن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش، وبالتالي كان تصور الدولة عنده أوسع من الأنصار، ثم توسع مفهوم الدولة بعد الفتوحات، وكان اختيار الخليفة الأول بتوافق وشبه إجماع وتم الأمر ثم أوصى الصديق بالفاروق ليخلفه في قيادة الدولة، ثم رشح الفاروق عند

احتضاره ستة مرشحين اختير سيدنا عثمان من بينهم، وهكذا وصل الأمر لسيدنا علي ثم حدثت الفتنة وتنازل سيدنا الحسن عن الخلافة لسيدنا معاوية بن أبي سفيان، وبعدها استلم يزيد الحكم بالوراثة التي ظلت عادة متبعة إلى يومنا هذا

وطبعاً ظهر في التاريخ المماليك والسلاطين والولاة وكانوا ينافسون الخليفة في صلاحياته وقد يغدو الخليفة مجرد صورة لا أكثر

إن المتمعن في أحداث التاريخ يدرك جلياً أنه لم يكن هناك فعل ثابت مستقر في أي مجال من مجالات الحياة أو العلوم وبإمكانك قول هذا بالنسبة لباقي العلوم ومجالات الحياة

وهذا ليس أمراً مستغرباً طالما أن ذلك كله كان محاولة إسقاط النص على الواقع وهذا جهد بشري

فالدين (النص المقدس) قد تكفل الله تعالى بحفظه وهو صواب وليس لأحد أن يقترب من جنابه، لكن الكلام موجه للجهد البشري في تطبيق هذه النصوص على أرض الواقع

فلمن ينادي بالرجوع بكليتنا إلى الماضي نقول له:

إلى أي جزء من الماضي تريدنا أن نعود؟؟

وهل تريدنا أن نطبقه كله جملة واحدة وفيه المتناقضات والمختلفات؟؟

ففي مجال اختيار الحاكم كما شرحنا قبيل قليل: أي نوع من أنواع اختيار الحاكم تريدنا أن نختار وكلها جهود بشرية؟؟

وإذا انتقيت أحدها فأنت بالتالي تنتقي من التاريخ ما يحلو لك وهذا اجتهادك الشخصي البشري، وليس شيئاً يجب علينا شرعاً اتباعه، وبالتالي يمكنني أن أقدم أطروحة جديدة -بغض النظر عن المنبع الذي أستقيه منها- وأنادي بها طالما أنه في النهاية جهد بشري والشارع الكريم قد فتح الباب للاجتهاد البشري ولم يقيدها ولم يقننها وطالما أن الأطروحة لا تتعارض مع ثوابت الدين

وبالنسبة لمن يرفع شعار وجوب تطبيق الخلافة:

أي خلافة من التاريخ الإسلامي تقصدون؟ فقد كان آل البيت يرون الخلافة في آل البيت النبوي وهم مع ذلك قسمان: قسم علوي وآخر عباسي وكلٌ يرى الدولة إرثاً ويرى أحقيته في هذا الإرث

والأمويون يرون أحقيتهم في الخلافة وهناك من يراها عموماً في واحد من قريش والخوارج يرونها فيمن هو أهل لها من عموم المسلمين

والقارئ للتاريخ يجد أن المشروع السياسي الإسلامي لم يناقش مناقشة جادة وإلى الآن لم تتحدد طبيعة النظام السياسي بشكل مستقر وإنما كانت تتبدل حسب اجتهادات الحكام ونتائج الصراعات التي كانت تحسم لأحد الأطراف وساد منطق حكم المتغلب أغلب التاريخ الإسلامي، وفيه لا مجال لدراسة موضوع السياسة بحرية

هل يمكن السفر عبر الزمن؟؟

سبق لنا أن شبهنا الوعي البشري بكائن يتحرك وبالتالي فإن حركته حسب النظرية النسبية تجعله يحمل زمنه معه، فهو إن تحرك بشكل أسرع فمعناه أن زمنه سيتباطأ مما سيساعدنا على اجتياز الهوة الحضارة بيننا وبين من يتقدم ركب الحضارة الإنسانية لكن بشرط أن تكون حركتنا إلى الأمام وباتجاه المستقبل

أما التحرك باتجاه الماضي بكليتنا فلن يزيدنا إلا انغماساً في الماضي السحيق، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نسير للأمام وأعيننا وقلوبنا باتجاه الماضي!!

إذا تصالحنا مع ماضينا وبدأنا بداية حضارية جديدة أمكن لنا حينها أن نسافر عبر الزمن لكن عبر آلة الزمن (وسائل وعلوم ومعارف ومصطلحات العصر) لا عبر جواد أو مركوبة نقل عفى عليها الزمن

قد يقول قائل: إن الفجوة الحضارية بيننا وبين الغرب، أو حتى مناطق شرق آسيا كبيرة جداً، ولا يمكننا اللحاق بهم في حال من الأحوال فهم يتحركون ونحن إن تحركنا فعلى الأقل لن نلحق بهم في العهد القريب وهنا تكمن أهمية السفر عبر الزمن، ولكن كما قلت إن ذلك يعتمد على سرعة وعينا وإدراكنا وأفكارنا، وهذا يدفعنا بالضرورة أن نزيل الأعشاب الضارة من حديقة عقولنا وأن نملكها وسائل العصر وعندها نكون قد

دخلنا السباق فعلاً والأمر حينها تنافس، أما نحن الآن فعلى شط السباق بأسره نحن خارج اللعبة فإن أصبحنا بداخلها فذلك أول الطريق، وكما أن كل شيء في هذا الكون نسبي فكذلك الفجوة الحضارية نسبية، وهي تعتمد على تفاعلنا مع الواقع وسرعة وعينا له

كل ما في الكون يتحرك

إن مما أثبتته النظرية النسبية أن كل شيء في هذا الكون يتحرك حتى الجمادات فهي ثابتة كجسم كلي لكن جزيئاتها وذراتها تتحرك وفق أعقد النظم والقوانين وهذا ما شاهده وأثبته العلماء إلى اليوم

وكل شيء إذا توقف عن الحركة يصبح في حيز العدم ويخرج من سباق الحياة

الأرض تتحرك حول الشمس والكواكب والمجرات في حالة حركة دؤوبة لا تتوقف وكما يقول آينشتاين:

لا يوجد في الكون رصيف ثابت

وبالتالي فالعقول التي لا تنتج الأفكار وتتفاعل مع الواقع ولا يتحرك الخيال فيها فهي في حيز العدم حتى تبث فيها روح الأفكار الحية من جديد

إن القرآن الكريم أمر بالتفكر والتدبر وإعمال العقل والنظر في الكون فالعقل الذي لا تتحرك فيه الأفكار ولا ينظر ولا يتدبر يفنى ويبقى صاحبه حبيس الماضي لا يستطيع ولوج الحاضر، وبالتالي فمن المؤكد ألا مستقبل زاهر ينتظره

حتى الفكرة الناجحة التي فرضت نفسها بالحجة والتجريب ستضطر أن تدافع عن نفسها وتتحرك في ميدان المستجدات، وإلا فستنفى من حيز الوجود، فلكي تثبت وتستقر لا بد لها من دوام الحركة والتفاعل

فالسباح إن أوقف جسده عن الحركة غرق وابتلعته الماء ولكي يستقر فوقها لا بد له من دوام الحركة

قانون التدافع والحركة الدؤوبة يحكم الكون بأسره ومن تكاسل أن يتحرك ويتدافع فلينتظر أن يصبح مدفوعاً ومحشوراً في زاوية الحضارة

لا انفصال بين الزمان والمكان (الزمكان)

ومما أثبتته النسبية أيضاً أن ليس هناك انفصال بين الزمان والمكان فهما شيء واحد، وأن الزمن هو البعد الرابع مع الطول والعرض والعمق

وفي عالم الأفكار إذا تتبعنا تاريخ الفكر الإنساني، نجد أن الفكر لا يمكن له أن ينفك عن الزمان الذي طرح فيه والمكان أيضاً، كما أنه يتأثر بشكل كبير مع العلوم والمعارف والوسائل المتبعة في ذلك العصر، والمنتج البشري لا يمكن له أن ينفك انفكاكاً تاماً عن الزمكان الذي ولد وارتبط به وذلك شأن علم الله تعالى وحده فهو وحده المتعالي عن الزمان والمكان وبالتالي فهو يصلح لكل عصر ومصر ولا يتقيد بشيء من مخلوقات الله تعالى، وبالتالي ففهم العالم الفلاني للنص المقدس أو التفاعل معه هو ابن بيئته ولا يلزم بحال من الأحوال أن يستمر معنا في رحلتنا الحضارية كما أسلفنا في الشرح إلا إن صمد أمام الدليل والبرهان

إن إدراكنا لهذه الحقيقة ووعينا لها هو السبيل الوحيد للانعتاق من أسر القديم غير المبرهن، وسبيلنا في ذلك ليس التفلت بل إخضاعه لمحكمة الدليل والبرهان

عاب القرآن الكريم على احتجاج الكفار على صحة معتقداتهم أنها موغلة في القدم، فهي عقيدة آبائهم وأجدادهم ولو أنها تملك دليلاً ذاتياً لما اضطروا

إلى الاحتجاج بصحتها على أنها قديمة ويألفونها
فكان الرد الإلهي: (أولو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)
فنحن الآن في زمان ومكان مختلف عن الإحداثيات الزمانية والمكانية التي عاش فيها أسلافنا
وبالتالي نحتاج إلى زمكان جديد ورؤية جديدة للنص المقدس (غير الخاضع للزمكان)
أنا أتعجب من الذين يتشبثون بالماضي بحذافيره مع أنه جهد بشري ويرفضون إخضاعه لمحكمة الدليل والبرهان

ولكي يتضح لنا ارتباط الزمان بالمكان فلنفترض أن شخصاً عاش في القرن الماضي ونام مثل أهل الكهف ثم استيقظ في عصرنا هذا فهل سيجد شيئاً مما ألفه على حاله حتى الجمادات سيجد فيها تحولاً كبيراً فلن يجد بيته كما هو ولا حال مدينته وقس على ذلك

ونحن قد دخلنا في غيبوبة حضارية وتوقف عالم أفكارنا عن الحركة وبعضنا استفاق من غيبوبته ليُصدم بالفجوة الحضارية التي دخلنا فيها وبعضنا إلى الآن لم يستفق وما زال يعيش أحلام الماضي

الماضي، الحاضر، المستقبل، ما هذه الثلاثية؟؟

هناك جسيم يدعى الكوارك القمي دورة حياته الكاملة من ولادته إلى موته قبل أن يضمحل ويتحول إلى أشكال أخرى من الكواركات هي من رتبة 5×10^{-25} ثانية !!!

لو قدّر لهذا المعدن أن يعبر عن مشاعره وأفكاره وأن يدونها ويخاطبنا بها لتحدث لنا عن تجاربه وخبراته وعن فترة طفولته وشبابه وكهولته والمواقف التي مر بها في حياته

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو بالضبط ماضي ذرة هذا المعدن وما حاضره وما مستقبله؟؟!!

وقد نكتشف مخلوقات أخرى تعيش في حيز زمني أصغر بكثير

وإذا ما طرحنا السؤال نفسه عن أنفسنا كبشر فبرأيكم ما هو الجواب؟؟ قد يدخل الموضوع في النقاشات الفلسفية المعقدة والشائكة لكن ما يهمنا معرفته وبعد أن تبين لنا بالحساب والتجريب أن مفهوم الزمن نسبي وبالتالي فالماضي والحاضر والمستقبل أيضاً مفاهيم نسبية فنحن من أوجدنا هذا التقسيم، وقد أثبتت النظرية النسبية أن ما نسميه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً كلها هي في حيز الوجود الفعلي وأن ما هو مستقبل بالنسبة لك لمّا تعيشُه بعد هو ماض بالنسبة لغيرك وقد يكون ماضياً سحيقاً بالنسبة لآخرين

فلو افترضنا أن الحياة (ماضيها وحاضرها ومستقبلها) عبارة عن شريط مصور مسجل، وأننا نستطيع أن نستعرضه كله ونعيه في ظرف ساعة من الزمن

فلو وجد كائن آخر لديه قدرة استيعابية أكبر وأسرع في تحليل المعلومات ووعيها بقدر يتجاوز سرعة وعينا بثلاثة آلاف وستمائة مرة لأمكنه أن يستعرض شريط حياتنا كله في ثانية واحدة

وبالتالي فما نعتبره مستقبلاً بالنسبة لنا هو ماض بالنسبة لهذا الكائن وهذا المفهوم نحن نعيشه بشكل يومي في حياتنا فما نعتبره نحن مستقبلاً حضارياً بالنسبة لنا يكون الغرب قد اكتفى منه وشرع في غيره وهو في حقه ماض حضاري وهكذا

وعيك وحواسك هم أدواتك في التعرف على الكون

لنفرض أن شخصاً يركب طائرة نفاثة أو صاروخاً أو مركبة سريعة جداً فهل سيشعر هذا الشخص بتباطؤ أو تمدد الزمن؟؟

الجواب هو لا

ذلك لأن كل أجهزة جسمه أصبحت تعمل بوتيرة أبطأ وكذلك دقات قلبه وكذلك الساعة التي في يده فمحيطه الداخلي انتظم إيقاعه مع المحيط الخارجي، وبالتالي يشعر أن الأمر طبيعي ولكن أثبتت التجارب أن الزمن يتمدد بالفعل على متن الطائرة النفاثة، أو الجسم الذي يتحرك بسرعة عالية

لقد تم وضع ساعة من السيزيوم التي بإمكانها أن تحسب الجزء من المليار جزء من الثانية في داخل طائرة نفاثة عام ١٩٧١ ووضع شبيهتها على الأرض ساكنة لا تتحرك ومضبوطة بنفس الضبط ثم تفاجأ العلماء أن الساعة التي كانت على متن الطائرة تباطأت بنفس النسبة التي حسبها آينشتاين في معادلته، لكن كما قلنا إن الشخص الذي يقود هذه الطائرة النفاثة لا يشعر بفرق مطلقاً، وذلك لأن حواسه ووعيه لا يستطيع أن يدرك هذا الفارق البسيط من الزمن ولكنه حقيقي

فعدم إدراكنا لأشياء محددة لا يعني عدم وجودها في الواقع، فالكون لم ولن يتوقف على وعينا له، بل حقائقه والقوانين التي يخضع لها ويعمل بها ثابتة ونحن نقترب أو نبتعد عنها

كما أنه ليس هناك وعي واحد لجميع البشر، فنحن متفاوتون جداً في مسألة الوعي، وبالتالي فكل وعي لكل شخص في كل وقت معين هو منحني يقترب أو يبتعد عن المستقيم الذي هو القانون المعين الذي يحكم عمل شيء ما في الكون

والنصوص الدينية أيضاً هي حقائق ثابتة في علم الله تعالى ونحن بفهمنا لها وتفاعلنا معها نشكل المنحني الذي يتغير مع الزمن فيقترب أو يبتعد من ذلك المستقيم (حقيقة النص الديني)

فإذا أخطأ تفسيرك للنص فذلك لقصور وعيك عن إدراكه وليس لخطأ في النص نفسه، ونحن هنا أمام تفسيرين لسير الحياة:
أحدهما يقول إن العصور الذهبية للإنسانية في كل مجالات الحياة قد ختمت بانتهاء القرن الثالث الهجري، وإن الحياة من سيء إلى أسوأ وهذا طبعاً في كل مجالات الحياة إلى قيام الساعة

والرأي الثاني يقول إن هذه القرون الثلاثة لها الفضل المذكور في الأحاديث أما في باقي المجالات فلم يرد ذكر أن الحياة ستسوء، فعلى العكس نحن نشاهد أن الحياة تسير نحو التقدم الحضاري والرفاه والتطور المعرفي والتكنولوجي، وحتى موضوع فهم الدين نفسه، فيلزمنا فهم يعاصر

واقعنا ولا يلزمنا فهم للنص لعصر مضى منذ ألف عام!!

أهل الرأي الأول في صراع دائم مع كل ما هو جديد
فإن أثبت العلم مثلاً أن الأرض كروية قالوا لا ليست بكروية، ونقلوا أقوالاً لعلماء ليسوا متخصصين، وقد عاشوا منذ مئات السنين أن الأرض ليست كروية وهي ثابتة لا تدور، وهم بذلك يعرضون هذا العالم للمهانة العلمية وذلك ليس ذنبه فعلوم عصره وأدواته في البحث في ذلك الزمن قد قادته إلى هذه النتيجة كما قادت جموع البشرية حينها إلى نفس النتيجة، فليس عيبه ولكنه عيب من يردد قوله بعد مئات السنين، وقد تطورت المعارف والأدوات والوسائل للتعرف على الحقيقة إنها قمة المهزلة العلمية!!

وهم أيضاً في صراع مستمر مع واقعهم يرفضونه ويحاربونه ويديرون له ظهورهم ويتجهون بكليتهم نحو الماضي فهم يتواجدون في القرن الحادي والعشرين تواجداً فيزيائياً جسداً فقط أما روحهم ما زالت تحلق في الماضي

وحجة أهل الرأي الثاني أن البشرية والحضارة تتجه نحو الأفضل في مجال العلوم والمعارف بغض النظر عن كيفية استخدامها لهذه العلوم فهذه مهمة المستَعمرين في الأرض أن يقوّموا هذا الاعوجاج، وأن يقودوا دفة الحضارة برشد، لكن ذلك لن يتم لهم مالم يعملوا جاهدين لكسب السباق

والوصول إلى المقدمة
حتى طريقة فهم الدين ستصبح أرشد وأكمل وأفضل لأن وعينا أصبح أنضج فلا يكفي لفهم النص الديني أن يكون الإنسان صادقاً خيّراً من أهل الفضل فحسب، بل إن الأدوات والمعارف تساهم جلياً في مسألة الفهم كما أن المتقدمين لديهم رصيد ضخم من التطبيق العملي لهذه الفهوم المتنوعة للنص، وبالتالي لدينا بنك هائل من التجارب ونستطيع أن نستفيد منه لتطبيق النص في عصرنا

والأمر ليس حرباً مع القديم وليس قطيعة مع التراث، ولكنه تصالح معه إذا أدركنا الأمور التي أسلفنا ذكرها سنتيقن أننا قادرون على إنجاز فهم للنصوص يناسب العصر، ويستعمل أدواته وعلومه ومعارفه ومصطلحاته ويستفيد من الكم الهائل للتجارب، والتطبيقات المتنوعة للفهوم المختلفة إذا سلمنا بحقيقة أن كل هذه الفهوم هي بشرية محضة، وليست ناطقة باسم الإله وليست وحياً من لدن العليم الخبير، وإلا فمحاولة الحديث مع من يرى فهم شيخه هو الحق المطلق كمن ينطح رأسه بالجدار

الكون لا يحابي

بالعودة إلى مثالنا الذي طرحناه عن الغرفة المتحركة والجدال الذي دار حول الحركة والسكون مع أن كل واحد منهما قد رأى ما قال بأم عينه**!!**

الجواب هو أن الكون لا يحابي

فكلا المراقبين يخضعان للقوانين الفيزيائية نفسها ولذلك لا يشعر المراقب الداخلي بالفرق ويحس أنه ثابت وما حوله يتحرك ويحس أن الطائرة الشراعية التي تطير بنفس اتجاهه وسرعته ثابتة لا تتحرك

شاء الله تعالى أن يجعل هذا الكون يسير على نواميس معينة وقوانين صارمة تتخلف في حالة المعجزات، ولكنها تسري على الجميع بلا استثناء فلو أن كافراً ومسلماً نزلا إلى البحر فإن من يعرف السباحة سينجو ومن لا يتقنها سيغرق

هكذا هي الحياة من يعمل ويجري ضمن نواميس الكون يتقدم ويتطور ومن يركن إلى الدعة والراحة والجهل ويتواكل في الأخذ بالأسباب فإن التخلف والخنوع والخضوع للآخر المتقدم سيظل حليفه

كثيراً ما نسمع أن الحل فيما نواجه من مشاكل هو العودة إلى الله تعالى وتنمية الحالة الإيمانية وهذا جانب من الحل

لكن الحل يجب أن يكون متكاملاً
يجب أن يشمل كل جوانب الحياة المختلفة
يجب أن نعالج مشاكل التخلف والتأخر الحضاري كاملة
هي حزمة متكاملة من المشاكل ولا يمكن حلها إلا بحزمة متكاملة من الحلول

العودة إلى الله تعالى هي على رأس القائمة لكنها ليست الوحيدة، فنحن نحتاج الطبيب الرباني والمهندس الرباني والعسكري الرباني لا نحتاج فقط شيخاً ربانياً
يجب أن نهتم بباقي مجالات الحياة ونتجه إليها بالاهتمام والعمل، ولا نتصور ولو للحظة واحدة أن الله تعالى سينصرنا لمجرد أننا مؤمنون به فهو تعالى الذي قرن دائماً الذين آمنوا بالذين عملوا الصالحات

من يستعمر الأرض ويفهم قوانين الكون سيتقدم قطارَ الحضارة ولو كان كافراً ومن يركب قطار الأماني والأحلام فذاك قطار يراوح مكانه
تذكر دائماً:

الكون لا يحابي أبداً

التواقت، الآنية، وحدة المراقبين .... هذا شيء مستحيل

تعتمد النظرية النسبية على أساس متين وهو اختلاف محاور الإسناد (إحداثيات النقطة التي يقف عندها المراقب الساكن والمحور الذي يتخذه المتحرك زمانياً ومكانياً)

فكل مراقب يشاهد الأحداث ويصف ما يجري بناء على محور الإسناد الخاص به، فمثلاً إذا سقط لوح خشب من أعلى الطاولة فإن المراقب الثابت لهذا الحدث قد يخبرنا أن طرفي اللوح الخشبي وصلا إلى الأرض في نفس اللحظة، بينما لو تحرك مراقب آخر له محور إسناد مختلف بسرعة عالية موازياً للوح لحظة سقوطه لأمكنه بسهولة أن يميز أي طرفي اللوح قد وصل أولاً إلى الأرض

حين تنظر إلى السماء وترى نجماً يتلألأ في السماء فاعلم أن هذا النجم قد كان في المكان الذي تراه فيه لكن قبل سنوات وسنوات ضوئية
حتى في الأشياء البسيطة عندما ترى أحدهم يمشي أمامك على بعد عدة أمتار فأنت تظن أنك تشاهده بنفس اللحظة لكن لا تنسى مدة انعكاس شعاع الضوء عن هذا الشخص، ووصوله إلى عينك، ثم نقل السيالة العصبية البصرية وتحليل المخ لها لتحدث الرؤية
قد يكون هذا الوقت قليلاً جداً لكنه في النهاية وقت، وقد يكون له اعتبار في مجالات أخرى

بالمختصر حين حدوث أي حدث في الكون فإن إدراك كل مراقب له على محور إسناده سيكون مختلفاً بالنسبة للآخر، ليس في الوقت فحسب بل حتى في الكيفية والدقة والوصف وكل ما يتعلق بالحدث

فبالعودة إلى اللوح الخشبي الذي سقط من على الطاولة، فإن المراقب الأول قد قال إن طرفي اللوح وصلا معاً إلى الأرض

لكن المراقب الذي يسير بسرعة عالية قال إن طرفاً منهما وصل بفارق زمني معتبر إلى الأرض قبل الطرف الآخر

فإذا ما فهمنا ذلك أمكننا أن نفهم كيف أن حدثاً معيناً في حياتنا يفهمه كل شخص بطريقته الخاصة وبوعيه الخاص وإدراكه الشخصي

فمثلاً لنعتبر هذا الكتاب حدثاً وبالتالي فكل قارئ سيفهمه بطريقته، وقد يصل لنتيجة لم أفكر بها أصلاً، وقد يستخلص أشياء لم أصرح بها، وقد يغيب عنه المقصود الأساسي

ناهيك عن سرعة وصول الفكرة عند كل واحد من القراء

وإدراك هذه النقطة يجعلنا أكثر فهماً لكيفية صياغة خطاباتنا مع الآخرين وأصحابَ صدر أرحب لتقبل وجهات النظر الأخرى

فالحدث واحد لكن كل مراقب وهو على محور إسناده يراه بطريقته الخاصة

وهو محق فيما يراه، ولكن لأنك مراقب آخر على محور إسناد آخر لم تصلك نفس الصورة للحدث نفسه

إذاً إن وجدت الناس ينظرون للمشكلة من نفس محور الإسناد ولا يجدون حلاً لها فعليك أن تغير محور إسنادك لترى المشكلة من زاوية أخرى وهذا هو الإبداع

علاقة الكتلة بالطاقة $E = M.C^2$

هذه أهم معادلة في النظرية النسبية وهي توضح العلاقة بين الكتلة والطاقة

E: الطاقة

M: الكتلة

C: سرعة الضوء

بما أن سرعة الضوء حد ثابت وفق كل محاور الإسناد، ولو كان المنبع ساكناً أو متحركاً، بالتالي يمكننا تحويل الكتلة إلى طاقة وبالعكس وعلى هذا قامت بعض العلوم الحديثة والتفاعلات النووية

ولكي تزداد كتلتنا بين الأمم والشعوب، ويصبح لنا وزن معتبر بين الدول فلا بد لنا أن نقدم الطاقة الكافية لذلك ومعادلة آينشتاين تفي بتحويلها إلى كتلة، ولكي تزداد طاقتنا لا بد لنا من زيادة كتلة أفكارنا ووعينا، وكلما كانت الأفكار أكثر ديناميكية وحيوية أمكنها أن تفجر طاقة هائلة كالتي تنتج من انشطار الذرة والتفاعلات النووية

وهذا سيكسبنا سرعة عالية جداً تزداد كلما قدمنا أفكاراً أكثر وعندها تزداد كتلتنا بين الأمم ويصبح وزننا معتبراً

وخصوصاً أننا في زمن الأقوياء والقوي هو المتحكم بقواعد اللعبة

كن قوياً يمكنك أن تجذب الكثيرين فكيف إن كنت قوياً صاحب حق وعدل وعلم وعمل فيا لهناء البشرية بنا حينها

النيوتنيون والآينشتاينيون

تخيل معي لو أن لنيوتن وأتباعه تنظيم علمي كحال تنظيماتنا الإسلامية ولنسمه "جماعة الفيزياء التقليدية"، وأن لآينشتاين ومدرسته تنظيم عضوي أيضاً ولنسمه "جماعة الفيزياء الحداثيين"

برأيكم ما الذي كان سيحدث للعلم حينها؟؟

ألم يكن التعصب سيدخل إليهم رويداً رويداً حتى يصل النخاع؟؟

لسهولة تصور الموقف اعتبرهما جماعتين من المسلمين

ودعني أنقل لك بعض المشاهد من ذلك السيناريو وسأدع الباقي لتصوراتك

سيهتف الفيزيائيون التقليديون:

نحن أتباع المدرسة الأقدم والأعرق

أنتم مبتدعة

نحن أصحاب الفهم الصحيح للفيزياء وقد جرى اختبار استنتاجاتنا لقرنين من الزمان ....

وسيهتف أتباع الفريق الآخر بكلام مشابه فالتعصب غشاوة تحجب العقل عن إدراك الأمور على حقيقتها

وسرعان ما سيفرخ التعصب جماعات وتنظيمات أخرى وعند كل خلاف ستنشق جماعة أخرى وهكذا

لكن شيئاً مما سبق لم يحدث مع العالمَين ولم يشكلا تكتلاً خاصاً بهما ولم ينظما الأتباع، ولم يتعصب لهما ولأفكارهما الأتباع

بكل بساطة العلماء بكل التخصصات أخضعوا كل نظرية جديدة للنظر وأدخلوها محكمة الدليل والبرهان

جاء النبي صلى الله عليه وسلم بدعوته لأرض تملؤها الصراعات الدموية الفتاكة التي تسببها الولاءات القبلية الضيقة

وما أنا إلا من غزية إن غوت ..... غويت وإن ترشد غزية أرشد

بهذه العقلية بُني المجتمع الجاهلي، فأصبح الفرد لا يرى إلا قبيلته ولا يتحرك إلا لمصالحها ولا يدور إلا في فلكها

ففك الإسلام أغلال التعصب بكل أنواعه وحرر الإنسان من كل قيود الجاهلية، وسار النبي بصحابته نحو الأفق الواسع من مخروط الحياة في ذلك الوقت وأراد منا إكمال المسيرة

ووسع مفهوم الولاء وجعل المسلم رحمة مهداة للعالمين

ووسع مفهوم العمل الصالح ليشمل كل أمر فيه خير ابتغي فيه رضا الله تعالى حتى ولو نام العبد قاصداً فيه التقوّي على طاعة الله

ووسع كل مفهوم ضيق وبنى الحياة على أسس اليقينيات والدليل لا على أي أساس آخر

"قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"

لكننا للأسف أصبحنا نسير في الاتجاه الآخر من المخروط نحو الطرف الضيق، فضيقنا كل مفهوم واختزلنا كل شيء حتى غدا الدين هو فهم ذلك

الشيخ أو تلك الجماعة وما عداه فهو الباطل الزهوق
وانتشرت الأخويات الحزبية الضيقة بدل مفهوم الأخوة الرحب في الإسلام الذي يشمل كل موحد
وهكذا ضُيقت كل المفاهيم واختزلت

من المشاكل الرئيسية التي ينبغي الوقوف عندها وبحثها جيداً باعتبارها مفتاحاً لحل باقي المشكلات أن المتعصب يرى الفهم الذي يعتنقه عن الدين هو الفهم الوحيد الأوحد وما عداه باطل
كل المتعصبين يرون طيفاً واحداً، ويعملون بمسار ضيق واحد، يعيشون حياتهم في عالم يحكمه بعد واحد، ذو لون واحد، وكل شيء فيه لا يتعدد يرفعون آرائهم وفهومهم إلى مصاف الوحي الإلهي وينادون به شرعاً يجب على الناس إتباعه

"ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد"

كلما ناقشتُ متعصباً ووصلنا لطريق مسدود فأقول له في نهاية المطاف هذا رأيك وأنا أحترمه لكنك لم تُقنعني فينفجر غضباً ويقول: وهل في القضية رأي وقد جلبت لك آيات وأحاديث صحيحة؟؟
فأقول له: وأنا فعلت مثلك لكننا اختلفنا على فهم هذه النصوص وهنا أصبح الجهد بشرياً ولكلٌ رأيه، فأرى علامات الانزعاج بادية على محياه

وأخيراً أنصح كل القراء أن ينفتحوا على كل العلوم والفنون والثقافات ويتطلعوا نحو المستقبل، ويعملوا له، ويعتبروا الماضي خزان تجارب يستفيدون منه متحررين من سطوة القديم، وقيود التعصب غير خاضعين إلا لسلطة العقل والدليل والبرهان، راكبين لجج العلم في مسيرة الحياة

لم يكن الأنبياء عليهم السلام عبّاداً فقط

بل كانوا يشغلون كل مجالات الحياة

فسيدنا يوسف كان اقتصادياً بارعاً

ونوح كان نجاراً وداود كان حداداً وسليمان ملكاً وعيسى طبيباً

ليس بالعبادة وحدها تنهض الأمم

أمة اقرأ لن تهجر ميدان العلم بل ستنافس لريادة الأمم فالعالم يحتاج قيادة رشيدة

وأنت وأنا حجر الأساس في بناء الأمة الحضاري

فلنعد أنفسنا